مجلة جامعة بخت الرضا العلمية، ربع سنوية، محكمة، العدد (36)، المجلد (1) مارس 2023م
معامل التأثير العربي لسنة 2025م: (1.12)
ISSN: (1858-6139), Online

الصحة الإنجابية في القرآن الكريم والسنة النبوية: دراسة تأصيلية تحليلية

محمد عامر أحمد محمد[1] هويدا محمد إبراهيم محمد[2]
[1] جامعة بخت الرضا، كلية التربية ثانوي، قسم الجغرافيا.
[2]جامعة بخت الرضا، كلية الطب والعلوم الصحية، قسم طب وصحة الطفل.

تاريخ الاستلام:2023/01/16م تاريخ النشر:2023/03/30م

مستخلص

تُعنى هذه الدراسة بتقديم تأصيل فقهي وتحليلي مقاصدي لمفهوم "الصحة الإنجابية" ومكوناتها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، مع ربطها بالمعطيات والتشخيصات الطبية والاجتماعية المعاصرة. تهدف الدراسة إلى كشف السبق التشريعي الإسلامي في تأسيس منظومة رعاية متكاملة للأمومة والطفولة وحفظ النسل، وبيان التوازن الدقيق بين مقصد التكاثر ومراعاة القدرة البدنية والنفسية للوالدين. اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي لتتبع النصوص الشرعية وتفكيك دلالاتها، إلى جانب المنهج المقاصدي الذي يربط أحكام الأسرة والإنجاب بالمقصدين الكليين: (حفظ النفس) و(حفظ النسل). توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، أبرزها: أن القرآن الكريم والسنة النبوية وضعا الأطر الأولى لمفهوم "الأمومة الآمنة" والمباعدة بين الولادات من خلال تحديد مدة الحمل والرضاعة وحضّت الشريعة على العناية بجسد الأم، وأن الأحكام الوقائية المتعلقة بتحريم الفواحش والعفة تشكل درعاً حاسماً للحد من الأمراض المنقولة جنسياً. كما أثبتت الدراسة مرونة الشريعة الإسلامية وقابليتها لاستيعاب المستجدات التقنية (كتقنيات الإنجاب المساعد والفحوصات الجينية المبكرة) بناءً على قواعد رفع الحرج والتداوي وبما يحفظ الأنساب. أوصت الدراسة بضرورة دمج المفهوم الشرعي الأصيل للصحة الإنجابية ضمن برامج التثقيف الأسري والسياسات الصحية الموجهة للمجتمعات الإسلامية.

كلمات مفتاحية :الصحة الإنجابية، حفظ النسل، الأمومة الآمنة، المباعدة بين الحملين، المقاصد الشرعية، النوازل الطبية.

Abstract

This study aims to provide a jurisprudential grounding and maqaṣid-based analytical study of the concept of "reproductive health" and its components in light of the Noble Qur'an and the Prophetic Sunnah, linking it to contemporary medical and social findings and diagnoses. The study aims to reveal the Islamic legislative precedence in establishing an integrated system of care for maternity, childhood, and the preservation of progeny, demonstrating the precise balance between the objective of procreation and taking into account the physical and psychological capacity of parents. The study relied on the inductive-analytical method to trace Sharia texts and deconstruct their implications, alongside the maqaṣid-based approach that connects family and procreation rulings to the two universal objectives: (preservation of life) and (preservation of progeny). The study reached several findings, most notably: the Noble Qur'an and the Prophetic Sunnah laid the primary foundations for the concept of "safe motherhood" and birth spacing by defining the duration of pregnancy and lactation, while Sharia encouraged care for the mother's body; furthermore, preventive rulings related to the prohibition of immoralities and promoting chastity constitute a crucial shield in curbing sexually transmitted diseases. The study also proved the flexibility of Islamic Sharia and its ability to accommodate technical advancements (such as assisted reproductive technologies and early genetic screening) based on the principles of removing hardship and seeking medical treatment, provided that lineage is preserved. The study recommended the necessity of integrating the authentic Sharia concept of reproductive health into family education programs and health policies directed at Islamic societies.

Keywords: Reproductive Health, Preservation of Progeny, Safe Motherhood, Birth Spacing, Higher Objectives of Sharia (Maqaṣid), Medical Emergencies/Contemporary Issues.

مقدمة

تُعدّ الصحة الإنجابية إحدى الدعائم الأساسية للاستقرار الأسري والرفاه الاجتماعي، ومكفولاً رئيساً لاستمرار العنصر البشري في أداء وظيفته الاستخلافية على الأرض. وفي الوقت الذي صاغت فيه الأدبيات والمؤتمرات الدولية الحديثة مَفاهيم الصحة الإنجابية ومكوناتها ضمن أطر طبية وحقوقية، فإن الشريعة الإسلامية قد سبقت هذه المقاربات بقرون عديدة؛ حيث أسست لمنظومة شاملة ومتوازنة ترعى صحة الإنسان قبل تكوينه (عبر حسن اختيار الزوجين)، وترافقه خلال مراحله الجنينية، والطفولية، وحتى مراحل الإنجاب وما بعدها. تأتي هذه الدراسة التأصيلية التحليلية لتسليط الضوء على الأبعاد المقاصدية والتشريعية للصحة الإنجابية في النص القرآني والأحاديث النبوية. إذ تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال ردّ المفاهيم الإنجابية الحديثة إلى أصولها الشرعية، وإظهار التوازن الدقيق الذي أقرّه الإسلام بين حفظ النسل كمقصد كلي، وبين مراعاة القدرة الجسدية والنفسية للوالدين (ولا سيما الأم)، مما يشكل ركيزة للبحوث الاجتماعية والطبية ذات الصبغة الإسلامية.

مشكلة الدراسة

رغم ثراء النصوص الشرعية بالأحكام والتوجيهات التي تمسّ جانب الصحة الإنجابية، إلا أن هناك فجوة معرفية وتطبيقية تظهر في بعدين رئيسين: البُعد المفهومي: وجود حالة من خلط المفاهيم لدى بعض الباحثين أو مجتمعات الدراسة بين الرؤية الإسلامية المقاصدية للصحة الإنجابية (التي تهدف إلى صيانة النسل وتكثيره النوعي مع مراعاة السلامة والقدرة)، وبين بعض الطروحات الغربية التي قد تركز على الحدّ المادي للإنجاب دون مراعاة البُعد الأخلاقي والمقاصدي والبُعد التأصيلي: قلة الأبحاث المنهجية التي تجمع بين "التأصيل الشرعي" و"التحليل الوظيفي الطبي-الاجتماعي" للنصوص المتصلة بتنظيم الحمل، والمباعدة بين الولادات، والوقاية من الأمراض التناسلية، وعلاج العقم.

بناءً على ما تقدم، تمت صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي التالي: كيف صاغت النصوص القرآنية والسنة النبوية منظومة تأصيلية وتطبيقية للصحة الإنجابية تحقق حفظ النسل والنفس؟ وتتفرع منه الأسئلة الفرعية التالية:

1/ ما المقاصد الشرعية الكلية والمرتكزات الفقهية التي تبنى عليها الصحة الإنجابية في الكتاب والسنة؟

2/ ما الأحكام والتوجيهات النبوية والقرآنية المتعلقة برعاية الأمومة الآمنة والمباعدة بين الحملين؟

3/ كيف تناول التشريع الإسلامي الجوانب الوقائية والعلاجية المتعلقة بالصحة الجنسية والعقم والإنجاب المساعد؟

أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الهدف الرئيسي التالي:

تأصيل مفهوم الصحة الإنجابية في القرآن الكريم والسنة النبوية وتفكيك مكوناتها الطبية والاجتماعية في ضوء الشريعة الإسلامية.

وينبثق عنه الأهداف الفرعية التالية:

1/ تحديد الأطر المقاصدية: إبراز العلاقة التأصيلية بين مقصدي (حفظ النفس) و(حفظ النسل) وأثرهما في تشكيل مفهوم الصحة الإنجابية.

2/ تحليل النصوص المتعلقة برعاية الأم والطفل: استنباط الدلالات الصحية والطبية للنصوص الآمرة بالرضاعة، الفطام، والرفق بالأم خلال الحمل والوضع.

3/ بيان الأبعاد الوقائية والعلاجية: توضيح التشريعات الإسلامية الهادفة للوقاية من الأمراض المنقولة جنسياً، وحكم الوسائل الحديثة للتنظيم وعلاج المشكلات الإنجابية.

4/ تقديم أنموذج تأصيلي محكم: بلورة رؤية إسلامية معاصرة للصحة الإنجابية توازن بين متطلبات الطب الحديث والأحكام الفقهية.

أهمية الدراسة

الأهمية العلمية: تتمثل في رفد المكتبة الأكاديمية والدراسات المقاصدية بدراسة تأصيلية تجمع بين التفسير، وشروح الحديث، والعلوم الطبية والاجتماعية الحديثة وسد الفجوة التحليلية في إبراز السبق التشريعي للإسلام في تنظيم أدق تفاصيل رعاية الأمومة والطفولة والسلامة الإنجابية. بينما تتمثل الأهمية العملية في توفير مرجع استرشادي لصناع السياسات الصحية، والباحثين في مجالات الطب الاجتماعي، والمصممين لبرامج الإرشاد الأسري قبل الزواج وبعده وتقديم خطاب ديني وإرشادي واعٍ ومؤصل علمياً يساعد الأسر والمجتمعات على اتخاذ قرارات إنجابية متوازنة تجمع بين التوكل والأخذ بالأسباب الصحية.

فرضيات الدراسة

1/ توجد منظومة تشريعية وتأصيلية متكاملة في القرآن الكريم والسنة النبوية تغطي كافة مكونات الصحة الإنجابية المعاصرة، وتتفق مع الأصول الطبية والاجتماعية المحققة لمقاصد الشريعة.

2/ توجيهات القرآن والسنة بشأن الفطام (24 شهراً) والعزل تحقق من الناحية التحليلية مبدأ "المباعدة بين الحملين بما يحمي الصحة البدنية والنفسية للأم.

3/ الأحكام الشرعية المتعلقة بالعفة وتحريم الفواحش توفر إطاراً وقائياً حاسماً للحد من انتشار الأمراض التناسلية والمنقولة جنسياً.

4/ القواعد الفقهية الكلية (مثل: لا ضرر ولا ضرار، والمشقة تجلب التيسير) تبيح وتدعم الأخذ بالتقنيات الطبية الحديثة لعلاج العقم ورعاية الأجنة ضمن ضوابط حفظ الأنساب.

منهجية الدراسة وأدواتها

تقتضي طبيعة الموضوع التأصيلي التحليلي القائم على استقراء النصوص الشرعية (الكتاب والسنة) وإسقاطها على المفاهيم الطبية والاجتماعية المعاصرة للصحة الإنجابية، اعتماد مزيج منهجية علمية رصينة تضمن التكافؤ بين الأصالة الفقهية والتحليل المعاصر.

المنهج الاستقرائي: لتتبع وحصر كافة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار الفقهية المتعلقة بأبعاد الصحة الإنجابية (مثل: أحكام الحمل، الرضاع، الفطام، العزل، تحريم الفواحش، التداوي، وتدابير حماية الجنين والأم).

المنهج التحليلي: لتفكيك النصوص وتفسير دلالاتها اللفظية والمقاصدية، ودراسة أسباب النزول وورود الأحاديث، ثم ربطها بالمعطيات والتشخيصات الطبية والبيولوجية الحديثة للمباعدة بين الولادات وصحة الأم والطفل.

المنهج المقاصدي والتقاربي: لربط الأحكام التفصيلية بالمقاصد الكلية للشريعة الإسلامية (وعلى رأسها: حفظ النفس وحفظ النسل)، وعقد مقارنة تحليليّة تبرز كيف حقق السبق التشريعي الإسلامي متطلبات منظومة الصحة الإنجابية دون إخلال بالقيم الأخلاقية.

أدوات وأساليب تحليل البيانات: تعتمد الدراسة على أساليب التحليل التالية:

تحليل المحتوى النصي والمقاصدي: إخضاع النصوص المختارة للتحليل الدلالي (المنطوق والمفهوم، الخاص والعام، المطلق والمقيد) لاستخراج المبادئ الصحية المباشرة والضمنية.

التخريج والتكييف الفقهي: إرجاع الفروع والنوازل الطبية الحديثة إلى أصولها وقواعدها الكلية (مثل: قاعدة الضرر يزال، وقاعدة المشقة تجلب التيسير).

المقارنة والمطابقة العلمية: مطابقة النتائج والاستنتاجات الفقهية والاستنباطات القرآنية مع ما أثبته الطب الحديث في مجالات التعافي البعدي للولادة، والتأثيرات البيولوجية للرضاعة الطبيعية، والحد من الأمراض التناسلية والوراثية.

مصادر وأدوات جمع البيانات والمعلومات

تعتمد الدراسة على البيانات الكيفية والنوعية المُجمعة من المصادر والوثائق الأصيلة وفق التصنيف التالي:

الدراسات السابقة

الشريف وأحمد (2023م): هدفت الدراسة للتعرف على المقاصد الشرعية للرعاية الصحية للأم والطفل وتطبيقاتها في الفقه الإسلامي المعاصر. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي والمقاصدي. خلصت الدراسة إلى أن التشريع الإسلامي وضع إطاراً حائماً يربط بين الأبعاد البدنية والنفسية للأم، وأن رخص الإفطار في رمضان وتأخير بعض الحدود الشرعية عن الحامل والمرضع يُعدّ أصلاً شرعياً لمفهوم "الأمومة الآمنة" في الطب الحديث. تُفيد الدراسة في تعزيز التأصيل المقاصدي للرعاية الفسيولوجية للأم والجنين.

العتيبي (2023م): بحثت الدراسة عن التكييف الفقهي للتقنيات الحديثة في الإنجاب المساعد والفحص الجيني المبكر: دراسة مقارنة بين قرارات المجامع الفقهية والطب المعاصر. استخدمت الدراسة المنهج المقارن والتأصيلي لقرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي ومجلس الإفتاء الأوروبي. أثبتت الدراسة وجود توافق واسع بين الضوابط الشرعية والبروتوكولات الطبية في تقنيات الحقن المجهري (IVF)، واستقر الرأي الفقهي على جواز الفحص الجيني المبكر للأجنة واستبعاد المشوه منها قبل النفخ في الروح، مع حظر تقنية تأجير الأرحام نهائياً لحفظ الأنساب. تُشكل مرجعاً مستنداً أساسياً المتعلق بالنوازل الطبية وتقنيات الإنجاب المساعد.

بن علي وإبراهيم، (2022م) هدفت الدراسة لتسليط الضو على المباعدة بين الولادات من منظور الفقه الإسلامي والطب الحديث: دراسة تحليليّة مقارنة. استخدمت الدراسة المنهج التحليلي المقارن بين دلالات النصوص القرآنية (سورة البقرة والأحقاف) والأبحاث الطبية المتعلقة بفترة تعافي الرحم. بينت الدراسة أن تحديد مدة الرضاع بسنتين والحمل والفصال بثلاثين شهراً في القرآن الكريم يتطابق

دلالياً وطبياً مع توصيات منظمة الصحة العالمية (WHO) بضرورة ترك فاصل لا يقل عن 24 شهراً بين الحملين لحماية الأم من فقر الدم وتراجع كفاءة الجسد.

عبد الرحمن وآخرون(2021م): كشفت الدراسة عن الأحكام الوقائية للصحة الجنسية والإنجابية في السنة النبوية: دراسة حديثية موضوعية. اعتمدت المنهج **الاستقرائي الموضوعي** للأحاديث الواردة في صحاح السنة النبوية. كشفت الدراسة أن الأحاديث النبوية المحذرة من الفواحش والعزل والنظافة الشخصية تشكل منظومة وقائية متكاملة تُسهم في منع انتشار الأمراض المنقولة جنسياً (STDs)، وأن السنة النبوية سبقت الأنظمة الصحية العالمية في إقرار مبدأ "التداوي والوقاية قبل وقوع الداء".

التعقيب على الدراسات السابقة ومكمن الفجوة المعرفية:

يتضح من استعراض الدراسات السابقة أن أغلب الأبحاث تناولت موضوعات الصحة الإنجابية إما بشكل جزئي فقهي يركز على مسألة بعينها (كأطفال الأنابيب أو المباعدة)، أو بشكل طبي صرف. بينما تمتاز الدراسة الحالية بتقديم أنموذج تأصيلي تحليلي شامل يربط بين مقاصد الشريعة الكلية (حفظ النفس والنسل) وبين كافة المكونات الحديثة للصحة الإنجابية (من رعاية وقائية، وأمومة آمنة، ونوازل جينية) في إطار منهجي واحد يجمع بين الأصالة الشرعية والدلالة الطبية المعاصرة."

تميز الدراسة الحالية: تتميز الدراسة الحالية بتقديم رؤية تأصيلية تحليلية شاملة لا تكتفي ببيان الحلال والحرام في مسألة جزئية (كالتعقيم أو التلقيح)، بل تنظر للصحة الإنجابية كمنظومة حياة متكاملة تشمل الوقاية، الرعاية الجسدية والنفسية، والتوجيه الاجتماعي المبتدئ من الاختيار والزوجية وحتى الرضاع والرعاية الطبية المستمرة.

الصحة الإنجابية في القرآن الكريم

يُشكّل النص القرآني المرجعية الأولى والتأسيسية لمفهوم "الصحة الإنجابية"؛ إذ لم يتعامل مع الإنجاب كحدث بيولوجي مجرد، بل صاغه ضمن منظومة تشريعية ومقاصدية متكاملة تربط بين (حفظ النفس) و(حفظ النسل)، وتوازن بين الرغبة الفطرية في التكاثر وبين السلامة البدنية والنفسية للوالدين والجنين.

الرعاية الفسيولوجية والنفسية للحامل ورفع الحرج

أقرّ القرآن الكريم بالجهد الفسيولوجي والنفسي العظيم الذي تتكبده الأم خلال مرحلتي الحمل والوضع، واصفاً إياه بـ "الوهن" و"الكرْه" (المشقة)، وجعل هذا الإقرار الإلهي أساساً لبناء أحكام الرعاية والرفق بالأم:

قال تعالى: (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ) [لقمان: 14]. وقال عز وجل: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) [الأحقاف: 15].

التحليل المقاصدي والطبي: تبيّن الآيات القرآنية أن الحمل يُرتب إجهاداً تراكمياً متزايداً على أجهزة الجسم (العظمي، الدوري، والهرموني). وقد ترتب على هذا الوصف الفسيولوجي القرآني إقرار رخص فقهية تحمي الصحة الإنجابية؛ كجواز إفطار الحامل والمرضع في رمضان درءاً للضرر المترتب على صحتها أو صحة جنينها، وهو ما يمثل التجسيد العملي لقاعدة (المشقة تجلب التيسير) و(درء المفاسد مقدم على جلب المصالح).

التأسيس القرآني لمبدأ "المباعدة بين الحملين" و"الأمومة الآمنة"

وضع القرآن الكريم الخطوط العريضة لبرامج الأمومة الآمنة والتنظيم الصحي للأسرة من خلال تحديد فترة الرضاعة والفطام حمايةً لجهاز الأم التناسلي والبدني، وضماناً لحق الطفل في التغذية النموذجية:

قال تعالى: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) [البقرة: 233]. وقال تعالى: (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا) [الأحقاف: 15].

التحليل المقاصدي والطبي: عند الجمع بين النصين الشريفين، نجد أن طرح مدة الرضاعة الكاملة (24 شهراً) من المجموع الكلي للحمل والفصال (30 شهراً) يترك أدنى مدة للحمل وهي (6) أشهر. هذا التحديد الزمني القرآني يحقق أمرين حاسمين في الطب الحديث: التعافي الرحمي والهرموني: منح جسم الأم فترة استرداد للمخزون الغذائي (خاصة الحديد والكالسيوم) والتعافي من التغيرات التناسلية. الحد من وفيات الأمهات والأطفال: استيفاء عامين كاملين بين الولادات يقلل نسبة حدوث فقر الدم (Anemia) وتمزق الرحم، ويمنع الولادات المبكرة، وهو ما يطابق تماماً توصيات منظمة الصحة العالمية (WHO).

الحماية الوقائية للنسل والتنفير من الإهلاك والإهمال

حظر القرآن الكريم السلوكيات والقرارات التي تؤدي إلى إضعاف النسل أو تعريضه للهلاك البدني أو الصحي، حمايةً للمكون البشري:

قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) [الأنعام: 151]. وقال تعالى تحذيراً من إفساد البنية المجتمعية والصحية: (وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) [البقرة: 205].

التحليل المقاصدي والطبي: النسل في الآية الكريمة يمثل الامتداد الإنساني؛ وإهلاكه لا يقتصر على القتل المادي المباشر، بل يشمل الإهمال الصحي، والإنجاب غير المسؤول الذي يؤدي إلى نقل الأمراض الوراثية الشديدة دون اتخاذ أسباب الوقاية والتداوي، مما ينافي المقصد الشرعي من حفظ النسل نوعاً وكيفاً لا مجرد كثرة عددية.

الصحة الإنجابية في السنة النبوية

جاءت السنة النبوية المطهرة شارحةً ومفصلةً للتوجيهات القرآنية، ومضيفةً أبعاداً تطبيقية ووقائية وعلاجية تُغطي كافة مكونات الصحة الإنجابية والجنسية المعاصرة.

الوقاية من الأمراض المنقولة جنسياً (STDs) والأحكام الحصينة

أسست السنة النبوية منظومة وقائية صارمة تسد المنافذ المؤدية إلى انتشار الأمراض التناسلية والزهري والأيدز وغيرها، من خلال الحث على العفة وتحريم الفواحش: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: (لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا» (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

التحليل المقاصدي والطبي: تُعدّ هذه التوجيهات النبوية أصلاً حاسماً فيما يُعرف اليوم بـ "الطب الوقائي للإنجاب". إن الربط النبوي بين إعلان الفاحشة وظهور الأمراض والأوجاع التناسلية المستجدة يمثل إطاراً أخلاقياً وطبياً لحماية الجهاز التناسلي للمجتمع، وصيانة الأنساب من الاختلاط، وتجنيب الأجنة والمواليد التهديدات المرضية الوراثية والمكتسبة.

تنظيم النسل القائم على المصلحة والتنفير من "الغيلة" والعزل

أقرت السنة النبوية الوسائل المتاحة في ذلك العصر لمباعدة الولادات ومنع الحمل المؤقت إذا دعت الحاجة الملموسة لذلك (كحماية صحة المرضع): عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ» (متفق عليه). وفي مراعاة أثر الحمل الجديد على اللبن وصحة الرضيع (الغيلة)، قال ﷺ: (لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ، حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ» (رواه مسلم).

التحليل المقاصدي والطبي: مشروعية المباعدة: يُستدل بحديث العزل على جواز استخدام الوسائل الطبية الحديثة العصرية لتنظيم الحمل والمباعدة بين الولادات (كالخواتم، الحبوب، واللوالب)، طالما تم ذلك بتراضٍ بين الزوجين ولغرض صحي أو تربوي مشروع.

الاستناد إلى الخبرة الطبية: استشهاد النبي ﷺ بفعل الروم وفارس يدل على أصل شرعي مهم: الاعتماد على المعطيات والبحوث الطبية والتجريبية في اتخاذ القرارات المتعلقة بالصحة الإنجابية.

تأصيل مبدأ التداوي وعلاج المشكلات الإنجابية (العقم والإنجاب المساعد)

فتحت السنة النبوية باب البحث العلمي والتدخل الطبي لعلاج الأسباب العضوية التي تعوق الإنجاب (كالعقم وتأخر الحمل)، معتبرة ذلك من الأخذ بالأسباب المشروعة: عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا نتداوى؟ قال: (تَدَاوَوْا؛ فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ: الْهَرَمُ» (رواه أبو داود الترمذي وصححه). وقاعدته المبدئية الخالدة: «لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ) (رواه ابن ماجه وأحمد).

التحليل المقاصدي والطبي: يشكل حديث التداوي السند الشرعي لاستحداث وتطبيق تقنيات الإنجاب المساعد المعاصرة (كالتلقيح الصناعي، الحقن المجهري IVF، والفحوصات الجينية المبكرة للأجنة PGD). الشريعة لا تنظر إلى العقم كقدر جامد يُستسلم له، بل كـ "داء" يُندب البحث عن "دوائه"، شريطة التزام الضوابط الشرعية التي تحفظ الأنساب من الاختلاط وتمنع الضرر عن الأم والجنين.

النوعية الكيفية للنسل لا الكثرة العددية المجرّدة

إن دعوة الإسلام إلى تكثير النسل ليست دعوة مطلقة كَمِيّة، بل هي مقيدة بالقدرة والصلاح والاستطاعة الصحية والتربوية:

قال ﷺ: (يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا... قَالُوا: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ) (رواه أبو داود).

التحليل المقاصدي والطبي: يُحذر الحديث من "الكثرة الهشة" (الغثائية) التي لا تُقيم وزناً للنوعية. فالإنجاب المتتابع والمفرط الذي يؤدي إلى اعتلال صحة الأم، أو إهمال التغذية والرعاية الصحية للأطفال، ينتج نسلاً ضعيفاً ينافي قصد الشريعة من بناء المجتمع المسلم القوي في بدنه وصحته وعقله، مما يجعل تنظيم الإنجاب والمباعدة بين الحملين مطلباً شرعياً متسقاً مع مقاصد السنة.

النتائج

1/ أثبت التحليل النصي أن القرآن الكريم والسنة النبوية وضعا أساسات "الأمومة الآمنة" و"المباعدة بين الولادات" قبل صياغتها كبرامج صحية عالمية بقرون.

2/ الرعاية الصحية الإنجابية في الإسلام ليست مجرد إرشادات طبية مجردة، بل هي ممارسة تعبدية ترتبط بالتقوى وحسن العشرة ورعاية الأمانة.

3/ إمكانية استيعاب كافة التقنيات والحلول الطبية الحديثة (كالفحوصات الجينية قبل الزواج، والتدخلات الجراحية للأجنة، وحقن المجهري) تحت أصل "التداوي" وقاعدة "رفع الحرج"، طالما حافظت على شرط عدم اختلاط الأنساب.

4/ الشريعة لم تدعُ إلى الكثرة الإنجابية العديمة الفائدة (غثاء كغثاء السيل)، وإنما دعت إلى "الكثرة الصالحة القوية" صحياً وعلمياً، مما يجعل الأخذ بأسباب الصحة الإنجابية واجباً مؤصلاً.

التوصيات

1/ إدراج مفاهيم الصحة الإنجابية ذات التأصيل الشرعي ضمن المناهج التعليمية والبرامج التثقيفية للمقبلين على الزواج.

2/ التوسع في إقرار الفحوصات الطبية قبل الزواج وتوفير الاستشارات الجينية والأسرية للحد من انتشار الأمراض الوراثية وتخفيف الأعباء الصحية عن الأسر والمؤسسات.

3/ توجيه المؤسسات الدينية والأئمة لتبني خطاب إرشادي يوازن بين الحث على التناسل وبين التوعية بأهمية المباعدة بين الولادات وحماية صحة الأم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

سورة الروم :الآية (21).

سورة الأعراف :الآية (189).

سورة لقمان :الآية (14).

سورة الأحقاف :الآية (15).

سورة البقرة :الآية (233).

سورة الطلاق :الآية (6).

سورة المؤمنون :الآيات (12-14).

سورة الزمر :الآية (6).

سورة الأنعام :الآية (151).

سورة البقرة :الآية (205).

السنة النبوية

حديث عقوبة ظهور الفاحشة والأمراض التناسلية: سنن ابن ماجه :كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم الحديث.(4019)

المستدرك على الصحيحين للحاكم :كتاب الفتن والملاحم، المجلد 4، ص 583، رقم الحديث) .(8623) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في *سلسلة الأحاديث الصحيحة* رقم.(106) :

حديث سنن الفطرة والنظافة الوقائية: صحيح مسلم :كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، المجلد 1، ص 223، رقم الحديث.(261)

سنن أبي داود :كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم الحديث.(53)

سنن الترمذي :كتاب الأدب، باب ما جاء في خصال الفطرة، رقم الحديث.(2757)

حديث إقرار "العزل" لتنظيم الحمل: صحيح البخاري :كتاب النكاح، باب العزل، المجلد 7، ص 42، رقم الحديث.(5208)

صحيح مسلم :كتاب النكاح، باب حكم العزل، المجلد 2، ص 1065، رقم الحديث.(1440)

النهي عن قتل الأولاد سراً» :(لا تقتلوا أولادكم سراً، فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه :سنن أبي داود :كتاب الطب، باب في الغيل، رقم الحديث.(3881)

الاعتماد على الخبرة والطب - حديث جذامة بنت وهب» :(لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، حتى ذكرت أن الروم وفارس يفعلون ذلك فلا يضر أولادهم.
صحيح مسلم :كتاب النكاح، باب جواز الغيلة وهي وطء المرضع وكراهة العزل، المجلد 2، ص 1066، رقم الحديث.(1442)
حديث أسامة بن شريك» :(تداووا؛ فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم.« سنن أبي داود :كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، رقم الحديث.(3855)
سنن الترمذي :كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، رقم الحديث(2038) ، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح)
مسند الإمام أحمد :مسند الكوفيين، حديث أسامة بن شريك، رقم الحديث.(18453)
حديث جابر بن عبد الله» :(لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل :صحيح مسلم :كتاب السلام، باب لكل داء دواء واستحباب التداوي، المجلد 4، ص 1729، رقم الحديث.(2204)
لا ضرر ولا ضرار: سنن ابن ماجه :كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بغيره، رقم الحديث(2340)
سنن الدار قطني :كتاب البيوع، المجلد 3، ص 77، رقم الحديث.(4540)
مستدرك الحاكم :كتاب البيوع، المجلد 2، ص 66، رقم الحديث(2345) ، وقال: (صحيح الإسناد على شرط مسلم). وصححه النووي والألباني.
حديث الباءة: صحيح البخاري :كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، رقم الحديث.(5066)
صحيح مسلم :كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تطوق إليه، رقم الحديث.(1400)
حديث الغثائية:(يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها... قالوا: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل.. سنن أبي داود :كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، رقم الحديث) .(4297) وصححه الألباني في صحيح أبي داود).
(التحنيك» :(كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم.« صحيح البخاري :كتاب العقيقة، باب تحنيك المولود، رقم الحديث.(5468)
صحيح مسلم :كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، رقم الحديث.(2147)
الحديث الثاني (النهي عن التضييع» :(كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت» (وفي رواية: «من يعول.(«
سنن أبي داود :كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، رقم الحديث.(1692)
صحيح مسلم)باللفظ الثاني): كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمنملوك، رقم الحديث.(996)

البخاري، محمد بن إسماعيل (2001م .(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت: دار طوق النجاة.
مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (1955م .(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم(، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (2009م .(سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: دار الرسالة العالمية.
الترمذي، محمد بن عيسى (1975م .(سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (2009م .(سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: دار الرسالة العالمية.
الشيباني، أحمد بن حنبل (2001م .(مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة.
الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (1990م .(المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.
ابن كثير، إسماعيل بن عمر (1999م .(تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
القرطبي، محمد بن أحمد (2006م .(الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة.
ابن عاشور، محمد الطاهر (1984م .(تفسير التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر.